Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

التعاون الدولي في ظل جائحة كورونا: تحليل لتحديات وفرص الاعتماد المتبادل الدولي المعقد.

International cooperation under the Corona pandemic: challenges and opportunities analysis of the complex international interdependence.

1 أسامة عينوش Oussama Ainouche2عبد الوهاب عميري Abdelwahab Omiri

1 جامعة امحمد بوقرة -بومرداس ،مخبر الدراسات السياسية والدولية.

Ph.D. Researcher, Mhamed Bougara University- Boumerdes, Faculty of Law and Political sciences, political sciences department, Political and International Studieslab.
o.ainouche@univ-boumerdes.dz

2 جامعة امحمد بوقرة-بومرداس.

Mhamed Bougara University- Boumerdes, Faculty of Law and political sciences, political sciences department.
a.omiri@univ-boumerdes.dz

المؤلفالمرسل: أسامة عينوشOussama Ainouche الإيميل: o.ainouche@univ-boumerdes.dz

تاريخ الاستلام: 2021-02-13 **تاريخ القبول:**2021-09-29

الملخص:

عالج هذا البحث تداعيات جائحة كورونا بوصفها اختبارا لمنظومة التعاون الدولي الراهنة التي تقوم على خاصية الاعتماد المتبادل المعقد، وقد تم التوصل إلى أن جائحة كورونا قد فرضت عدة تحديات على نسق التعاون الدولي أهمها: محدودية دور المؤسسات الدولية المكلفة بالتعاون، هشاشة مبدأ التضامن الدولي وتحدي الأخلاق في ظل تنامي النزعة الأنانية القومية، كما كشفت الأزمة عن عدة فرص أبرزها ضرورة تعميق التعاون الدولي، إعطاء الأولوية للجوانب الصحية والإنسانية، وإشراك منظمات المجتمع المدني العالمي في مختلف العمليات التعاونية.

الكلمات المفتاحية:التعاون الدولي، جائحة كورونا، الاعتماد المتبادل المعقد.

Abstract:

This research addressed the fallout of the Corona pandemic, as a test of the current system of international cooperation based on the complex interdependence, It has been concluded that the Corona pandemic has posed several challenges tothe international cooperation system as The limited role of international institutions charged with cooperation, the fragility of the principle of international solidarity, and the challenge of morality in the face of growing nationalism, The crisis also revealed several opportunities, notably the need to deepen international cooperation,give priority to health and humanitarian aspects, and involve global civil society organizations in various cooperative processes.

.Keywords: International Cooperation, Corona pandemic, complex interdependence.

مقدمة:

شكلت جائحة كورونا كوفيد 19 اختبارا حاسما لمنظومة التعاون الدولي، فمنذ إعلان منظمة الصحة العالمية الوباء كجائحة بتاريخ 11 مارس 2020والعالم يعاني من تداعيات كبيرة على المستويات الصحية الاقتصادية، السياسية والاجتماعية نتيجة الاغلاق الشامل وفرض الحجر الصحي من أجل التصدي للوباء.

طرحت هذه الظروف العديد من الإشكالات حول التعاون الدولي مثل الجدوى منه في ظل تنامي النزعة القومية التي صاحبت الاغلاق الشامل بعد أن أقفلت الدول حدودها، وما رافقها من مسائلات لمبدأ التضامن الدولي ودور المؤسسات الدولية كالأمم المتحدة والتكتلات الإقليمية المختلفة المنوط بها مواجهة مثل هذه الأزمات التي تشكل تهديدا وجوديا للإنسانية.

وعليه فقد استدعت أزمة فيروس كورونا خطاب المابعديات بوصفها نقطة تحول تجعل من العالم ما قبل كورونا ليس كما بعده، فالتعاون الدولي الذي كان قبل كورونا يركز بالأساس على الجوانب الاقتصادية والعسكرية يبدوا أنه سيخضع لمراجعات على مستوى أولوياته في مرحلة ما بعد كورونا مع إعطاء الجوانب الإنسانية والصحية أهمية إضافية وإشراك فواعل جديدة، على اعتبار أن عصر العولمة الراهن فرض تبادلا عالميا معقدا ليس فقط للسلع والخدمات والمعلومات واليد العاملة، بل تجاوزه لتبادل الأخطار والتهديدات العابرة للحدود والقوميات، بالتزامن مع الحساسية المفرطة فأي حدث مهما كان صغيرا ولو بحجم

فيروس لا يمكن رصده بالعين المجردة، يمكن أن تكون له تداعيات عالمية كبيرة جدا وغير متوقعة.

ومن هذا المنطلق يعالج هذا البحث **الإشكالية التالية:ما هي أبرز التحديات والفرص التي فرضتها تداعيات جائحة كورونا على منظومة التعاون الدولي الراهنة التي تتسم باعتماد متبادل معقد؟**

أهداف البحث:

1- تقديم فهم موجز لظاهرة التعاون الدولي الراهن.
2- تشخيص التحديات التي فرضتها تداعيات أزمة جائحة كورونا على نسق التعاون الدولي.
3- إبراز أهم الفرص المنبثقة عن جائحة كورونا في مسعى تكريس وتعميق مسارات التعاون الدولي.

منهجية البحث:

في مسعى معالجة إشكالية البحث تم الاستعانة بأداة الملاحظة العلمية كآلية لجمع المعلومات من خلال مراقبة تطور جائحة كورونا مع التركيز على الكيفية التي تعاملت بها مختلف أطر التعاون الدولي، كما تم أيضا استخدام المنهج الوصفي التحليلي لوصف وتفسير المعلومات التي تم رصدها عبر الملاحظة العلمية لتحديد أهم التحديات والفرص التي فرضتها جائحة كورونا على ظاهرة التعاون الدولي.

المخطط العام للبحث:

اقتضت ضرورة الإحاطة بجوانب الاشكالية المطروحة المخطط البحثي التالي:

مقدمة

المحور الأول: التعاون الدولي في عصر العولمة وتكريس الاعتماد المتبادل المعقد.

المحور الثاني: اختبار جائحة كورونا لمنظومة التعاون الدولي: قراءة في أبرز التحديات.

المحور الثالث: جائحة كورونا كنقطة تحول: فرص مراجعة الأولويات وتصحيح مسارات التعاون الدولي.

خاتمة.

المحور الأول: التعاون الدولي في عصر العولمة وتكريس الاعتماد المتبادل المعقد.

إن فهم تداعيات جائحة كورونا متعددة الأبعاد على منظومة التعاون الدولي يقتضي تشخيصا لهذه المنظومة بما يتيح استيعاب استجاباتها للوباء المستجد، وذلك كخطوة أولية لتحديد معالم التحديات التي تواجهها وفرص تجاوزها.

أولا-التعاون كظاهرة في العلاقات الدولية:

إن ظاهرة التعاون في العلاقات الدولية أكثر شيوعا من ظاهرة الحرب، ورغم ذلك نجد أن هذه الأخيرة عنيت بدراسة أكبر من حيث أسبابها وتداعياتها المختلفة، وفي هذا الصدد يقول " بيتر هامرستاين"(Peter Hammerstein): "الحرب غالبا ما تبدوا طبيعية، سهلة الفهم إلى حد ما، في حين أن ظاهرة التعاون تحتاج لنوع من المكر لشرحها"[1].محاولة ضبط مفهوم التعاون الدولي غالبا ما تقع في فخ التحيز النظري، فمثلا التصورات المستنبطة من النظرية الواقعية ترى أن أصل العلاقات الدولية هو الصراع لا التعاون، وبالرغم من وجود علاقات تعاونية بين الدول إلا أن الواقعيين يعتبرونه جد محدود كونه مقيد بالتنافس الأمني والاستراتيجي، بالإضافة إلى أن الدول تحركها مصالحها القومية في نظام دولي فوضوي لا توجد فيه سلطة عليا يمكن أن تمنع الغش والتراجع أو الاخلال بالاتفاقيات المضمنة في علاقات التعاون، وعلى النقيض من ذلك تؤكد النظرية الليبرالية في طرحها "المتفائل" على إمكانية تحقيق التعاون الدولي من خلال مأسسة العلاقات الدولية بما يقلل من فوضوية النظام الدولي وبالتالي تقليل الحروب، كما يراهن الليبراليون على "الطبيعة الخيرة للإنسان" وانسجام المصالح في تكريس التعاون الدولي.

وعلى هذا الأساس يرى "عبد الحميد مشري" أن ضبط مفهوم التعاون الدولي في أفق محايد ومتحرر من كل الخلفيات النظرية أمر غير ممكن، ويقدم مخرجا يساعد على استيعاب المفهوم، وذلك عبر تحديد خصائصه الأساسية المميزة له عن باقي أصناف التفاعل الدولي الأخرى، فالتعاون الدولي يتحدد بمجموع العناصر التالية:

1- فعل جماعي: يقتضي وجود طرفين أو أكثر.
2- التبادلية: أي وجود علاقة تفاعل قائمة على التشارك والعمل معا بين أطراف العملية التعاونية.
3- موضوع وهدف التبادل: القيم الإيجابية المادية منها والمعيارية المرجو تحقيقها جراء التعاون.[2]

وحسب "ويليام زارتمان" و"سعدية توفال" (William Zartman and Saadia Touval)لا يجب النظر إلى التعاون الدولي بوصفه بالضرورة نقيضا للنزاع والصراع كما

تقدمه التفسيرات القائمة على منطق الثنائية، إذ أن التعاون الدولي يمكن ان يضم مسارين يتسمان بالتداخل هما:

المسار الأول يرتبط بإدارة النزاع دون حله، وعلى هذا المستوى تسعى الدول المتصارعة إلى حل بعض القضايا الجزئية في النزاع من خلال التعاون، وكمثال على هذا المسار نجد التعاون الذي حدث في فترة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في عديد القضايا كالانتشار النووي وغيرها بالرغم أن الطرفين يعتبران بعضهما البعض عدوا وجوديا.

المسار الثاني يقوم على سعي أطراف التعاون لتكريسه والحفاظ عليه بناءً على تصور مشترك لتحقيق المصالح المتبادلة بحيث يكون التعاون والعمل الجماعي هما الآليتان الوحيدتان لتحقيقها، وفي هذه الحالة أيضا لا تنتفي احتمالات وجود تنافس ونزاع في بعض الأحيان[3] ونموذج الاتحاد الأوروبي هو أبرز مثال يوضح هذا المسار، فدوله مع أنها تتفق على ضرورة التعاون والتكتل لتحقيق مصالح أعضاءه ولعب دور عالمي مؤثر إلا أنه توجد العديد من القضايا محل الصراع والتنافس بين أطرافه الأساسية كألمانيا، فرنسا وإيطاليا.

ثانيا-تطور التعاون الدولي: من الحاجة إلى العمل الجماعي إلى الاعتماد المتبادل المعقد

على مر المراحل التاريخية سعت الدول والكيانات السياسية إلى إقامة علاقات تعاون فيما بينها لمواجهة مختلف التحديات التي يعجز العمل الأحادي على حلها، فمنذ القرن 19 والجهود الدولية لتأسيس تنظيم دولي يحقق التعاون مستمرة بدءا من مؤتمرات فيينا سنة 1856، ثم مؤتمري برلين 1868 و1872 بحيث تم إرساء قواعد العلاقات الأوروبية وفق مبدأ توازن القوى، ليتطور بعد ذلك التعاون الدولي مع إنشاء العديد من الاتحادات، كاتحاد التلغراف الدولي سنة 1865 واتحاد البريد العالمي سنة 1874... الخ.

دخل العالم عصر التنظيمات العالمية بعد أن كانت الجهود سابقة الذكر تخص القوى الأوروبية بالدرجة الأولى وذلك مع تأسيس عصبة الأمم سنة 1919 ثم منظمة الأمم المتحدة سنة 1945 من اجل تحقيق السلم والأمن الدوليين وكذا تكريس التعاون الدولي.[4]

في فترة الحرب الباردة لم يخرج التعاون الدولي من دائرة الاستقطاب الأيديولوجي بين المعسكرين الشرقي والغربي، إذ اخذ التعاون الدولي شكلا أفقيا بين الشمال والجنوب، لكن مع نهاية الحرب الباردة وتعمق مسارات العولمة التي فرضت ترابطا عالميا على مستوى حركة رؤوس الأموال، التبادل التجاري وسرعة انتقال وتبادل المعلومات[5]، فإن عالم ما بعد الحرب الباردة حسب "جوزيف ناي""وروبرت كيوهن " (Joseph Nye and RobertKeohane)أصبح يتسم بخاصية الاعتماد المتبادل المعقد Complex interdependence بحيث يوجد ترابط واعتماد متبادل كثيف ومتشابك بين مختلف الفواعل سواء الدولاتية المتمثلة في الدولة والمنظمات الدولية الحكومية من جهة، والفواعل غير الدولاتية كمنظمات المجتمع المدني العالمي، الشركات العابرة للقارات وغيرها من جهة أخرى، هذا الاعتماد المتبادل المعقد ينطوي على تحول عميق في جوهر العلاقات الدولية الأمر الذي يؤكد عليه ناي وكيوهن من خلال ملاحظتهما للتحولات التالية:

1- وجود قنوات ترابط متعددة بين مختلف فواعل السياسة العالمية الناتج عن ضرورة العمل المشترك لمواجهة التحديات المنبثقة في فترة ما بعد الحرب الباردة كقضايا البيئة والتغير المناخي ...إلخ.
2- انتفاء مبدأ الهيراركية (التراتبية الهرمية) بين قضايا العلاقات الدولية، ففي عالم الاعتماد المتبادل المعقد لم يعد تقسيم قضايا السياسة العليا (الجوانب العسكرية والأمنية) وقضايا السياسة الدنيا (الاقتصاد وغيرها) ذو جدوى، إذ يمكن لأي قضية مهما بدت هامشية أن تصبح ضمن أولويات السياسة العالمية.
3- تراجع دور القوة العسكرية كون أن تكاليفها جد مرتفعة في عالم الاعتماد المتبادل المعقد.
4- الحساسية المفرطة بحيث يمكن لحدث ما في دولة معينة أن يكون له تداعيات كبيرة في دول أخرى ويمكن أن يمتد التأثير ليشمل كل العالم بدرجات متفاوتة.[6]

ثالثا: عولمة الأوبئة كخاصية لتعقد مسارات التعاون الدولي.

تؤكد جائحة كورونا التي بدأت في الانتشار شهر ديسمبر 2019 من مدينة ووهان الصينية لتشمل كل قارات العالم

على مدى الترابط والتداخل الذي يشهده العالم، وكذا حساسيته المفرطة لأي حدث قد يبدو صغيرا ولو بحجم فايروس غير مرئي، إلا أن تداعياته الصحية، الاقتصادية الاجتماعية والسياسية كبيرة جدا، و الملاحظ هنا أن العولمة لم تسهل فقط انتقال رؤوس الأموال والسلع والمعلومات وحركة اليد العاملة بل الأمر يتعدى أيضا إلى الأوبئة، مثلما أورد معهد الطب في الولايات المتحدة في أحد تقاريره الصادرة سنة 1992 ما مفاده أن الأمراض المعدية الناشئة ترتبط ارتباطا وثيقا بالعولمة وذلك من خلال مجموعة من العوامل نوردها فيما يلي:

1- السفر العالمي نتيجة تطور وسائل النقل أدى إلى انتقال الأمراض والفيروسات المسببة لها دون اعتراف بالحدود السياسية للدول.
2- ارتفاع حجم التجارة الدولية يفاقم انتقال الامراض المعدية، إذ أن عولمة تجارة المواد الغذائية والاعلاف التي تعتبر من نواقل الفيروسات تساهم بشكل كبير في انتشار العدوى من نقاط الإنتاج إلى نقاط التوزيع والاستهلاك.
3- فرضت العولمة نمط معيشة يساهم في انتقال الأمراض المعدية، وهذا النمط يتجلى في التمدن الذي أدى إلى عيش المزيد من البشر في مناطق سكنية مزدحمة ومتجاورة الأمر الذي يزيد من احتمالية انتشار الأمراض المعدية. [7]

وحسب بعض التقديرات فإن العالم قد شهد في الفترة ما بين سنة 2000 و2020 انتشار ما يقارب 10 أوبئة تتمثل في: انفلونزا الطيور، انفلونزا الخنازير، الكوليرا، أيبولا، زيكا الحمى الصفراء، الطاعون، سارس، ميرس ثم كورونا كوفيد 19 المستجد. [8]

المحور الثاني: اختبار جائحة كورونا لمنظومة التعاون الدولي: قراءة في أبرز التحديات.

لقد ترتب عن انتشار جائحة كورونا منذ أواخر سنة 2019 الكثير من التحديات، خاصة وأن العالم كان يبدوا غير جاهز لمواجهة أزمة مماثلة غير متوقعة تحيلنا إلى مبدأي الغموض واللايقين اللذان تتسم بهما السياسة العالمية واضعة بذلك منظومة التعاون الدولي المفترض أن دورها تجنيب الإنسانية كوارث مماثلة أمام تحديات وإشكالات عديدة.

أولا-إشكالية مأسسة التعاون الدولي: جدلية المبادئ وحدود الدور.

يرى الفكر الليبرالي الجديد إمكانية تحقيق التعاون الدولي من خلال مأسسة التفاعلات الدولية بشكل يقلل من درجة فوضوية النظام الدولي وبالتالي تقليل النزعة نحو الصراع بين مختلف فواعل النظام الدولي، لكن أزمة وباء كورونا المستجد قد كشفت عن اختلالات كبيرة في البنية المؤسسية الدولية التي تقودها الأمم المتحدة ومنظماتها الفرعية، بحيث أن أداءها الذي كان دون المستوى المطلوب في التعامل مع تداعيات الجائحة ينم عن اختلالات كبيرة تعاني منها، وأهمها عدم الالتزام بالمبادئ المؤسسة التي قامت عليها والتي هي أساس شرعيتها الفعلية السياسية ومشروعيتها القانونية، فالأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية والإقليمية قد نشأت لغاية تحقيق السلم والأمن الدوليين وكذا تحقيق التعاون والتضامن الجماعي الدولي، وعلى هذا الأساس فإن أزمة كورونا قد طرحت مجددا إشكالية جدوى ودور وهوية هذه المؤسسات من جهة، وتراجع شرعية ومشروعية مبادئها المؤسسة من جهة أخرى. [9]

ولعل أبرز دليل يثبت هذا الخلل في أداء المؤسسات الدولية هو الدور الذي قامت به منظمة الصحة العالمية بوصفها منظمة فرعية للأمم المتحدة متخصصة في الشؤون الصحية العالمية، فمنذ تأسيسها سنة 1948 كان هدفها تعزيز وحماية الأمن الصحي على مستوى العالم، إذ تعرض تعاطي المنظمة مع تداعيات انتشار جائحة كورونا للكثير من الانتقادات نتيجة عدم استجابتها السريعة والتردد والتناقض في تقديم البيانات حول الجائحة، بالإضافة إلى تقديمها معلومات غير دقيقة حول الأدوية الناجعة والارشادات الواجب على الدول والأفراد الالتزام بها للحد من انتشار الفايروس، كل هذا أدى إلى سحب الولايات المتحدة الأمريكية وهي أكبر مساهم في المنظمة لتمويلها الذي يقدر ما بين 400 إلى 500 مليون دولار سنويا (ما بين 10إلى 15 بالمئة من ميزانية المنظمة)، كما اتهمها الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب بالتواطؤ مع الصين. [10]

ثانيا-هشاشة مبدأ التضامن الدولي.

يؤكد الخطاب الرسمي للأمم المتحدة على أن مبدأ التضامن الدولي هو حجر الأساس الذي قامت على أساسه المنظمة لتحقيق السلم والأمن الدوليين، تكريس حقوق

الانسان وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ويضيف الخطاب ما مفاده أن منظمة الأمم المتحدة تستند إلى روح التضامن هذه في مسعى تحقيق التعاون الدولي لحل المشاكل الدولية ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والإنساني، ونظرا لهذه الأهمية فقد حددت الجمعية العامة في قرارها 209/60 المؤرخ في 17 آذار/مارس 2006، التضامن الدولي باعتباره أحد القيم الأساسية والعالمية التي ينبغي أن تقوم عليها العلاقات بين الشعوب في القرن الحادي والعشرين.[11]

كشفت أزمة جائحة كورونا وجود فجوة كبيرة بين الخطاب والواقع، فمبدأ التضامن الدولي الذي تسعى منظمة الأمم المتحدة لتكريسه كما ورد في خطابها الرسمي لم يتوافق مع استجابتها لمواجهة أخطار الجائحة، فالدور المنوط بها في هذه الحالة هو قيادة تنسيق عالمي لمجابهة الوباء وتطويقه، لكنها اكتفت بمتابعة معدل انتشار الوباء وإصدار البيانات وإطلاق بعض المبادرات المحدودة.[12]

وعلى صعيد التكتلات الإقليمية فقد أظهرت أزمة كورونا هشاشة مبدأ التضامن الدولي، ففي الاتحاد الأوروبي مثلا ظهرت العديد من الانقسامات بين دوله الأمر الذي أدى إلى تأخر نسبي في إدارة الأزمة نتيجة تنامي النزعة الأنانية القومية التي تجلت أكثر مع رفض دول الشمال الأوروبي كألمانيا، وهولندا طلب الاستعانة الجماعية التي تقدمت به دول الجنوب الأوروبي كإيطاليا واسبانيا، هذه الاستجابة الأوروبية القائمة على منطق العمل الفردي بدلا من العمل الجماعي دفعت بالكثير من الباحثين والسياسيين كالرئيس الفرنسي "إيمانويل ماكرون" إلى افتراض أن التكتل الأوروبي يفقد جاذبيته ويتجه نحو مرحلة جديدة بقناعات تميل إلى التفكك بدلا من التشبث بهذا النموذج الذي أظهرته الجائحة بأنه محدود نسبيا على مستوى إدارة الأزمات، وهو النهج الذي بدأته بريطانيا بخروجها من منظومة الاتحاد الأوروبي.[13]

ثالثا: سؤال الأخلاق وجدوى التعاون الدولي.

أبانت أزمة جائحة كورونا أيضا عن ازمة أخلاق تعاني منها منظومة التعاون الدولي والعلاقات الدولية بشكل عام أولى تجليات هذه الأزمة ما اصطلح عليه إعلاميا "حرب الكمامات"، إذ بدأت هذه الحرب عندما أعلنت ألمانيا بتاريخ 24 مارس/آذار 2020 عن اختفاء شحنة تحوي 06 ملايين كمامة من طراز FFP2 اشترتها وزارة الدفاع الألمانية واختفت في أحد مطارات كينيا، كما تعرضت شحنة معدات طبية إيطالية تحوي 680 ألف قناع وأجهزة للتنفس قادمة من الصين للسرقة في جمهورية التشيك، نفس الأمر تكرر مع تونس التي اتهمت على لسان وزير تجارتها محمد السيليني إيطاليا بقرصنة باخرة محملة بكحول طبي قادمة من الصين إلى تونس[14].

المظهر الثاني لأزمة الأخلاق التي تعيشها المنظومة الدولية بعد حرب الكمامات هو "حرب اللقاح"، ففي ظل تفشي الوباء تحول انتاج لقاح مضاد لفيروس كورونا المستجد إلى ساحة تنافس بين القوى الكبرى كالولايات المتحدة، الصين وروسيا إذ اكتسب التنافس الجيوسياسي بين هذه القوى بعدا جديدا مع بداية السباق على انتاج لقاح كورونا، إذ بدأت موسكو وبكين في طرح لقاحات حتى قبل اكتمال كل مراحل الاختبارات السريرية، وتسويقها في الخارج في المناطق التي تسعى فيها لتوسيع نفوذها في إطار ما أطلق عليه "دبلوماسية اللقاح"، فمثلا أجرت شركة سينوفارم الصينية تجارب المرحلة الثالثة من اللقاح في الأردن والبحرين ومصركما وقع صندوق الثروة السيادية الروسي شهر سبتمبر 2020 اتفاقا مع الهند لتزويدها ب 100 مليون جرعة من لقاح سبوتنيك V، الأمر الذي يمثل تحديا استراتيجيا للإدارة الامريكية[15].

من جهة أخرى تطرح سياسات توزيع اللقاحات المتبعة تهديدا "بفشل أخلاقي كارثي" كما صرح بذلك المدير العام لمنظمة الصحة العالمية "تيدروس أدهانوم غيبريسوس" والذي اعتبر هذه السياسات غير عادلة على اعتبار أن نحو ما يزيد عن 39 مليون جرعة من اللقاحات وزعت في 49 دولة غنية، بينما لم تحصل إحدى الدول الفقيرة إلا على 25 جرعة فقط وهي دولة غينيا بتاريخ 16 يناير 2021.[16]

المحور الثالث: جائحة كورونا كنقطة تحول: فرص مراجعة الأولويات وتصحيح مسارات التعاون الدولي.

تتضمن مختلف الأزمات العالمية أبعادا إيجابية تتمثل في كشفها للاختلالات الموجودة كخطوة مهمة لتجاوزها وحلهاويحاج هذا البحث أنه يمكن الاستفادة من أزمة كورونا الحالية لمراجعة منظومة التعاون الدولي من حيث أولوياتها وهيكلتها وأهدافها بناءً على ما أفرزته الجائحة من تداعيات.

أولا: ضرورة تعميق التعاون الدولي متعدد الأطراف.

يمكن لتداعيات أزمة جائحة كورونا على مختلف الأصعدة أن تساهم في تعميق التعاون الدولي متعدد الأطراف في مختلف المجالات، على اعتبار أن العمل الفردي لم يعد بمقدوره مجابهة التحديات الناشئة التي أفرزتهاالعولمةومنها سرعة انتشار الأوبئة، فتأثير الجائحة بدأ من الصين ليشمل كل أنحاء العالم مؤكدا على حجم الترابط والتداخل الذي تتسم به العلاقات الدولية في العصر الحالي.

يمكن لتداعيات أزمة جائحة كورونا على مختلف الأصعدة أن تساهم في تعميق التعاون الدولي متعدد الأطراف في مختلف المجالات، على اعتبار أن العمل الفردي لم يعد بمقدوره مجابهة التحديات الناشئة التي أفرزتها العولمة، ومنها سرعة انتشار الأوبئة، فتأثير الجائحة بدأ من الصين ليشمل كل أنحاء العالم مؤكدا على حجم الترابط والتداخل الذي تتسم به العلاقات الدولية في العصر الحالي.
ومن هذا المنطلق، فإن آثار الجائحة قد مست كل أقاليم العالم وبدرجات متفاوتة بناءً على مدى انفتاحها على منظومة التعاون والاعتماد المتبادل الدولي خاصة على المستوى الاقتصادي، فأزمة "الاغلاق الكبير" الناتجة عن الحجر الصحي لمجابهة الوباء قد أثرت على الاقتصاد العالمي بشكل كبير، وفيما يلي بعض المؤشرات الاقتصادية المعبرة عن ذلك:

1- انخفاض أسعار النفط نتيجة تراجع الطلب العالمي لما يقارب الثلث، فمثلا شهدت أسعار عقود النفط الأمريكية المقرر تسليمها في مايو 2020 انخفاضا إلى أدنى مستوى لها في التاريخ بعد تجاوزها الصفر بسبب فائض المعروض النفطي الناجم عن قلة الاستهلاك.
2- نقص في عرض المستلزمات الطبية نتيجة للطلب المتزايد عليها بالتزامن مع الارتفاع المستمر في عدد الإصابات والوفيات الناجمة عن تفشي وباء كورونا.
3- ارتفاع الطلب على السلع الغذائية، وفي هذا الصدد حذرت منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (الفاو) من تأثير الركود الاقتصادي الناجم عن تفشي الوباء على الأمن الغذائي العالمي، بحيث تتوقع توسع رقعة المجاعات لتضم 80 مليون شخص في حال حدوث انكماش اقتصادي بنسبة 10 بالمئة من إجمالي الناتج المحلي في جميع الدول المستوردة الصافية للأغذية وعددها 101.
4- تعطل حركة التجارة العالمية بسبب سياسات الاغلاق والحجر الصحي، وفي هذا الإطار تتوقع منظمة التجارة العالمية أن حجم الانكماش قد يتراوح ما بين 13 و32 بالمئة، وعليه فمن المرجح أن تفوق الأزمة الحالية الركود الناجم عن الأزمة المالية العالمية في سنة 2008.
5- ارتفاع معدلات البطالة، فقد أشارت منظمة العمل الدولية في دراسة لها أن ما يقرب عن 25 مليون وظيفة على مستوى العالم معرضة للضياع بسبب تفشي الوباء، كما تتوقع المنظمة أن يكون للأزمة تأثير بعيد المدى فيما يخص البطالة على المستوى العالمي[17].

وتأكيدا لأهمية التعاون الدولي متعدد الأطراف يوصي صندوق النقد الدولي في تقرير آفاق الاقتصاد العالمي لسنة 2021 أن بناء اقتصاد يتسم بالصلابة والانصاف لما بعد الجائحة يقتضي من صناع السياسات المضي قدما في تكريس مسارات التعاون الدولي متعدد الأطراف لمواجهة موروثات الأزمة المتمثلة في بطء نمو الإنتاجية، تزايد عدم المساواة وارتفاع معدلات الفقر، ارتفاع مستويات الديون وحدوث انتكاسة في مراكمة رأس المال البشري.[18]

ثانيا: مراجعة أولويات التعاون الدولي: الأمن الإنساني أولوية ملحة.

تتحدد العديد من مبادئ وأسس منظومة التعاون الدولي في فترة ما بعد الحرب الباردة بما يقدمه النموذج النيوليبرالي الغربي المنتصر في الحرب الباردة والذي وصفه فرانسيس فوكوياما بأنه آخر مراحل تطور الفكر الإنساني خاصة على المستويين السياسي والاقتصادي، إذ يقوم هذا النموذج على ما يلي:

1- حافز الربح الذي يقوده القطاع الخاص ومتطلبات السوق من قوى العرض والطلب، وعلى هذا الأساس تتحقق مصلحة المجتمع بمصلحة القطاع الخاص وهامش ربحه، مع دور محدود للدولة.
2- العولمة والتوسع المستمر في التجارة الدولية وسلاسل إمدادها الأمر الذي ينجر عنه رفض مساعي الاكتفاء الذاتي التي يمكن أن تقلل من قوة الشركات العابرة للقارات.
3- زيادة مراكمة رأس المال وتشجيع المزيد من الاستهلاك بغض النظر عن حدود الموارد الطبيعية وحاجات التوازن البيئي.[19]

وفي هذا الصدد يلاحظ بوب يوري Uri Bop في مقاله الموسوم "الطاعون النيوليبرالي" أن فيروسا صغيرا بحجم كورونا كشف عن خلل كبيرة في المنظومة الدولية النيوليبرالية التي عجزت عن التصدي له، وتطرح العديد من الأسئلة من قبيل: ما الذي يجب أن يأتي في المقام الأول: المجتمع أم الاقتصاد؟ الصحة العامة أم الربح؟ رفاهية المواطنين أم البلوتوقراطية (حكم الأثرياء)؟ [20]

بعد أكثر من عام على ظهور وباء كورونا بلغ عدد المصابين حسب تقارير منظمة الصحة العالمية 105 ملايين و658.476 إصابة، منها 02 مليون و309.370 حالة وفاة (احصائيات يوم 2021/02/08) [21]إذ يمكن أن تساهم هذه الحصيلة الثقيلة في مراجعة أولويات التعاون الدولي من خلال إيلاء أهمية أكبر للبعد الإنساني من خلال مواجهة التهديدات الجديدة التي تواجه الدول والمجتمعات ومنها الأوبئة المتفشية التي تعد تحديا لكل مستويات الأمن، وذلك من خلال النقاط التالية:

1- التركيز بشكل أكبر على مفهوم الأمن الصحي بوصفه من أهم متطلبات تحقيق الأمن الوطني الشامل للدول والمجتمعات، عبر الاستثمار أكثر في إجراء الأبحاث العلمية لابتكار الأمصال واللقاحات، وزيادة نسبة الموازنات المخصصة لقطاع الصحة.
2- إيلاء مزيد من الاهتمام بالأمنيين الإنساني والمجتمعي على المستوى الدولي، حيث أن أزمة كورونا قد أبرزت ضرورة التعاون والتضامن الدولي في مواجهة الكوارث الإنسانية وخاصة ما يتعلق بالأمراض المتفشية والأوبئة العابرة للحدود.
3- توسيع أدوار وأجندات مؤسسات الأمن والدفاع في معظم دول العالم من خلال مواجهة التهديدات الجديدة التي تواجه الأمن الإنساني، بدل الاقتصار فقط على مواجهة التهديدات التقليدية للأمن، الأمر الذي تم ملاحظته أثناء انتشار الوباء في عديد الدول كفرنسا واسبانيا وإيطاليا أين لعبت الجيوش دورا فاعلا في مواجهة تفشي الوباء.[22]

ثالثا: نحو دور متزايد للمجتمع المدني العالمي في مسارات التعاون الدولي.

تعد الدولة والمنظمات الدولية الحكومية الفواعل الأساسية في مختلف العمليات والمسارات التعاونية الثنائية والمتعددة الأطراف، لكن تداعيات أزمة كورونا العالمية على مختلف المستويات الصحية، السياسية، الاقتصادية والاجتماعية قد أثبتت حاجة هذه الفواعل الرسمية للاعتماد على الفواعل من دون الدولة المتمثلة في منظمات المجتمع المدني العالمي لمواجهة الجائحة وغيرها من التحديات الناشئة في عالم شديد الترابط والتعقيد.

حسب تقرير "المجتمع المدني العالمي" الصادر سنة 2002، المجتمع المدني العالمي هو تلك التنظيمات التطوعية الارادية غير الحكومية التي تنشط عبر الحدود وتتصدى لقضايا ذات طبيعة عالمية مثل حقوق الإنسان، الديمقراطية، البيئة وقضايا التنمية، وعبر عنه أيضا بمفاهيم مثل المنظمات الدولية غير الحكومية والمنظمات متعددة القوميات. [23]

تقوم منظمات المجتمع المدني العالمي بدور فاعل منذ بداية أزمة كورونا نهاية سنة 2019، فهي تلعب دورا

تكميليا لدور الدولة من خلال فروعها المحلية في مختلف الدول عبر توزيع المتطوعين المنتسبين لها لغاية التحسيس بمخاطر المرض وسبل الوقاية منه، وكذا جمع وإيصال المساعدات لمحتاجيها خاصة مع اشتداد ظروف الحجر الصحي وتعميم الاغلاق، ومن المنظمات التي برزت في هذا المجال نجد: الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر، منظمة أطباء بلا حدود، منظمة أوكسفام، منظمة العفو الدولية...الخ.

هذا الدور يكرس أكثر مكانة منظمات المجتمع المدني العالمي خاصة في إطار ما يعرف بالحوكمة العالمية التي تعبر عن الجهود التعاونية الجماعية لتعريف وفهم المشكلات المنتشرة في العالم، والتي تتعدى قدرات الدول منفردة على حلها، وعلى هذا الأساس يقوم المجتمع المدني العالمي كطرف أصيل بنشاط تشاركي مع الفواعل الدولاتية بحيث يقوم بملأ الفراغات التي عجزت الحكومات الوطنية عن سدها.[24]

الخاتمة:

تعتبر أزمة جائحة كورونا اختبارا حقيقيا لمنظومة التعاون الدولي الراهنة من حيث قدرتها على التعامل مع مختلف الأزمات ذات البعد العالمي، فالتعاون يعد من الآليات التي تسعى من خلالها مختلف فواعل النظام الدولي لمواجهة الأخطار المهددة للسلم والأمن الدوليين، وقد كشف هذا الاختبار عن جملة من التحديات التي تعيق التعاون الدولي عن تحقيق أهدافه منها، محدودية دور المؤسسات الدولية المكلفة بتحقيق التعاون كمنظمة الأمم المتحدة والهيئات التابعة لها، هشاشة مبدأ التضامن الدولي الذي يعتبر الحجر الأساس الذي تقوم عليه أي عملية تعاونية، وكذا إشكالية الأخلاق التي تعزز النزعة الأنانية بما يتناقض كليا مع أهداف التعاون الدولي.

من جهة أخرى كشف اختبار جائحة كورونا عن مجموعة من الفرص يمكن استثمارها لتعميق التعاون الدولي على اعتبار أنه حاجة ملحة في عالم يتسم بتعقد وتداخل شديدين، بحيث يمكن أن يتأثر كل العالم بحدث يبدوا صغيرا في دولة ما، ومن أهم هذه الفرص هو مراجعة أولويات التعاون الدولي وإعطاء أهمية إضافية للجوانب الإنسانية والصحية، وكذا إشراك فواعل المجتمع المدني العالمي بشكل أكبر في مختلف العمليات التعاونية من أجل ضمان فعالية ومرونة أكثر في الأداء.

قائمة المراجع:

أولا: الكتب.

1-Hammerstein، Peter، Genetic and Cultural Evolution of Cooperation، MIT Press، USA, 2003.

2-William Zartman and Saadia Touval، Introduction: return to the theories of cooperation in: International Cooperation:The Extents and Limits of Multilateralism، Cambridge University Press، UK, 2010.

ثانيا: المقالات.

1-Waheeda Rana, Theory of Complex Interdependence : A Comparative Analysis of Realist and Neoliberal Thoughts International Journal of Business and Social Science, Center for Promoting Ideas (CPI), USA, vol 6, No 02, February 2015.

2-بباس منيرة، فالي نبيلة، الاقتصاد العالمي في مواجهة تحديات عولمة الأوبئة –جائحة كوفيد 19 نموذجا-، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس سطيف، المجلد 20، العدد 1، سبتمبر 2020.

3-رابح زاوي، فيروس كورونا والأمن الإنساني: المخاطر والفرص، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، جامعة باتنة 1، المجلد 06، العدد 01، جانفي 2021.

4-محمد النويني، كورونا covid19 وجذور الإخفاقات الأخلاقية للنظام الدولي، مجلة نور الهدى، العدد 19، ربيع 2020.

5-أحمد فايز الهرش، أزمة الإغلاق الكبير: الآثار الاقتصادية لفيروس كورونا كوفيد 19، مجلة بحوث الإدارة والاقتصاد، جامعة زيان العاشور الجلفة، المجلد 2، العدد 2، 2020.

6-كرام بلباي، آليات المجتمع المدني العالمي في رصد وتوثيق قمع انتهاكات حقوق الانسان، مجلة حقوق الانسان والحريات العامة، جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم، المجلد 2، العدد 1، جانفي 2017.

7-أمين بن نعمة، الفلسفة التشاركية لدى المنظمات الدولية غير الحكومية: بين الالتزام الإنساني والضبط القانوني، مجلة دفاتر البحوث العلمية، المركز الجامعي لتيبازة، المجلد 6، العدد 1، جوان2018.

ثالثا: الأطروحات.

1-عبد الحميد مشري، التعاون الدولي من منظور الحوار العقلاني البنائي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، العلاقات الدولية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة باتنة 1، 2016/2017.

رابعا: المواقع الالكترونية.

1-تاريخ منظمة الأمم المتحدة، موقع الأمم المتحدة في : https://www.un.org/ar/sections/history/history-united-nations/index.html تمالتصفح يوم 2021/02/04، 13:25.

2-اليوم الدولي للتضامن الإنساني 20 كانون الأول/ديسمبر، موقع الأمم المتحدة الإلكتروني في: https://cutt.us/1Ya7Lتم التصفح يوم 2021/02/05، 10:11.

3-محمد وراشي، مبدأ التضامن الدولي خلال الأزمة الوبائية العالمية، موقع المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، السياسية والاقتصادية، في: https://democraticac.de/?p=70444 تم التصفح يوم 2021/02/05، 11:25.

4-دول تسطو على الكمامات وأخرى على الكحول وثالثة تتجاهل جارتها...هل أظهر كورونا أسوأ ما في أخلاق أوروبا؟، موقع عربي بوست، في: https://cutt.us/Si7CRتم التصفح يوم 2021/02/06، 09:44.

5-السباق لإنتاج لقاح كورونا: بعد جديد للتنافس الجيوسياسي بين الولايات المتحدة والصين وروسيا، مركز الامارات للسياسات في: https://epc.ae/ar/brief/race-to-produce-covid-19-vaccine-a-new-dimension-for-an-american-chinese-russian-geopolitical-competition تم التصفح يوم 2021/02/06، 10:33.

6-مجدي عبد الهادي، سيقوض النظام الدولي ويغير الاقتصاد... هكذا سيغير كورونا الوجه النيوليبرالي للعالم، الجزيرة نت في: https://cutt.us/hsYOvتم التصفح يوم 2021/02/07، 15:13.

7-WHO Coronavirus Disease (COVID-19) Dashboard, world health organization web site in https://covid19.who.int08/02/2021 15 :26.

8-أشرف العيسوبي، وباء "كوفيد-19": كيف سيعيد صياغة مفاهيم وسياسات الأمن الوطني؟، مركز تريندز للبحوث والاستشارات، في: https://cutt.us/BNT2Eتم التصفح يوم 2021/02/09، 10:31.

خامسا: التقارير والدراسات.

1-Emerging challenges and shifting paradigms new perspectives on international cooperation for development، document was prepared by the United Nations Economic Commission for Latin America، May 2017.

2-حامد عبد الماجد القويسي، أثار نازلة كورونا على المبادئ المؤسسة للمنظمات الدولية والإقليمية، تقارير مركز الجزيرة للدراسات، 9 أغسطس/آب 2020.

3-نورة الحفيان وسلطانة ادمين، أزمة كورونا والنظام الدولي الانعكاسات والسيناريوهات، دراسات سياسية، المعهد المصري للدراسات، 21 سبتمبر 2020.

4-مستجدات آفاق الاقتصاد العالمي: دعم السياسات ونشر اللقاحات يعززان النشاط الاقتصادي، تقرير صادر عن صندوق النقد الدولي، يناير 2021.

5-محمد الشرقاوي، التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتآكل النيوليبرالية (الجزء 2)، تقرير، مركز الجزيرة للدراسات، 30مارس 2020

الهوامش:

[1] Hammerstein, Peter, Genetic and Cultural Evolution of Cooperation, MIT Press, USA, 2003, pp 1-2.

[2] عبد الحميد مشري، التعاون الدولي من منظور الحوار العقلاني البنائي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، العلاقات الدولية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة باتنة 1، 2016/2017، ص 31.

[3] William Zartman and Saadia Touval, Introduction: return to the theories of cooperation in: International Cooperation:TheExtents and Limits of Multilateralism, Cambridge University Press, UK, 2010, p2.

[4] تاريخ منظمة الأمم المتحدة، موقع الأمم المتحدة في :
https://www.un.org/ar/sections/history/history-united-nations/index.html تم التصفح يوم 2021/02/04، 13:25.

[5] Emerging challenges and shifting paradigms new perspectives on international cooperation for developement, document was prepared by the United Nations Economic Commission for Latin America, May 2017, p13.

[6] WaheedaRana, Theory of Complex Interdependence : A Comparative Analysis of Realist and Neoliberal ThoughtsInternational Journal of Business and Social Science, Center for Promoting Ideas (CPI), USA, vol 6, No 02, February 2015, pp 3-4.

[7] بباس منيرة، فالي نبيلة، الاقتصاد العالمي في مواجهة تحديات عولمة الأوبئة –جائحة كوفيد 19 نموذجا-، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس سطيف، المجلد 20، سبتمبر 2020، ص 77-87.

[8] رابح زاوي، فيروس كورونا والأمن الإنساني: المخاطر والفرص، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، جامعة باتنة 1، المجلد 06، العدد 01، جانفي 2021، ص 724.

[9] حامد عبد الماجد القويسي، أثار نازلة كورونا على المبادئ المؤسسة للمنظمات الدولية والإقليمية، تقارير مركز الجزيرة للدراسات، 9 أغسطس/آب 2020، ص9.

[10] نورة الحفيان وسلطانة ادمين، أزمة كورونا والنظام الدولي الانعكاسات والسيناريوهات، دراسات سياسية، المعهد المصري للدراسات، 21 سبتمبر 2020، ص 05.

[11] اليوم الدولي للتضامن الإنساني 20 كانون الأول/ديسمبر، موقع الأمم المتحدة الإلكتروني في: https://cutt.us/1Ya7L تم التصفح يوم 2021/02/05 ، 10:11.

[12] محمد النويني، كورونا covid19 وجذور الإخفاقات الأخلاقية للنظام الدولي، مجلة نور الهدى، العدد 19، ربيع 2020، ص 82.

[13] محمد وراشي، مبدأ التضامن الدولي خلال الأزمة الوبائية العالمية، موقع المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، السياسيةوالاقتصادية، في: https://democraticac.de/?p=70444 تم التصفح يوم 2021/02/05، 11:25.

[14] دول تسطو على الكمامات وأخرى على الكحول وثالثة تتجاهل جارتها...هل أظهر كورونا أسوأ ما في أخلاق أوروبا؟، موقع عربي بوست، في: https://cutt.us/Si7CR تم التصفح يوم 2021/02/06، 09:44.

[15] السباق لإنتاج لقاح كورونا: بعد جديد للتنافس الجيوسياسي بين الولايات المتحدة والصين وروسيا، مركز الامارات للسياسات في https://epc.ae/ar/brief/race-to-produce-covid-19-vaccine-a-new-dimension-for-an-american-chinese-russian-geopolitical-competitionتم التصفح يوم 2021/02/06، 10:33.

[16] لقاح فيروس كورونا: العالم مهدد ب"فشل أخلاقي كارثي" بسبب سياسات التوزيع، موقع بي بي سي عربي في: https://www.bbc.com/arabic/world-55714566 تم التصفح يوم 2021/02/06، 10:43.

[17] أحمد فايز الهرش، أزمة الإغلاق الكبير: الآثار الاقتصادية لفيروس كورونا كوفيد 19، مجلة بحوث الإدارة والاقتصاد، جامعة زيان العاشور الجلفة، المجلد 2، العدد 2، 2020، ص 121-124.

[18] مستجدات آفاق الاقتصاد العالمي: دعم السياسات ونشر اللقاحات يعززان النشاط الاقتصادي، تقرير صادر عن صندوق النقد الدولي، يناير 2021، ص 12.

[19] مجدي عبد الهادي، سيقوض النظام الدولي ويغير الاقتصاد... هكذا سيغير كورونا الوجه النيوليبرالي للعالم، الجزيرة نت في: https://cutt.us/hsYOvتم التصفح يوم 2021/02/07، 15:13.

[20] محمد الشرقاوي، التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتآكل النيوليبرالية (الجزء 2)، تقرير، مركز الجزيرة للدراسات، 30مارس 2020، ص 18.

[21] WHO Coronavirus Disease (COVID-19) Dashboard, world health organization web site in https://covid19.who.int08/02/2021 15:26.

[22] أشرف العيسوبي، وباء "كوفيد-19": كيف سيعيد صياغة مفاهيم وسياسات الأمن الوطني؟، مركز تريندز للبحوث والاستشارات، في: https://cutt.us/BNT2Eتم التصفح يوم 2021/02/09، 10:31.

[23] إكرام بلباي، آليات المجتمع المدني العالمي في رصد وتوثيق قمع انتهاكات حقوق الانسان، مجلة حقوق الانسان والحريات العامة، جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم، المجلد 2، العدد 1 جانفي 2017، ص 175.

[24] أمين بن نعمة، الفلسفة التشاركية لدى المنظمات الدولية غير الحكومية: بين الالتزام الإنساني والضبط القانوني، مجلة دفاتر البحوث العلمية، المركز الجامعي لتيبازة، المجلد 6، العدد 1 جوان2018، ص 337.